مخطوط بستان الأزهار
في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار
مقاربة منهجية وتاريخية

د. الحمدي أحمد*

تمهيد:

من الواضح أن أغلب المؤلفات التي عرفها المغرب الإسلامي في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين تتعلق بالعلوم الدينية، وربما أبرز شيء يميزها هو انتشار كتب الزهد والأخلاق على وجه الخصوص. ولعل الباحث لا يبالغ إذا قال بأنها تعد بالمآت، فمعظم الفقهاء . أو جلهم . كانوا متصوفة، وامتزج بذلك الفقه بالتصوف، في التأليف، والشرح، والدرس. ولما أصبح المتصوفة يشكلون مرجعية لا يمكن تجاهلها، كثرت المدونات التي تهتم بالفكر المناقبي أو الكرامي. هذا الأمر لم تتجاوز عنه السلطات التي راقبته بجدية، من خلال التضييق على مشايخه، وعلى أتباعهم بالحواضر، والقرى، في مرات عديدة، كما استغلت بعضهم لتمرير مشاريعها في أحيان أخرى. ومن بين أشهر متصوفة هذا العهد أحمد بن يوسف الملياني، الذي تعدت شهرته مجاله الجغرافي بالمغرب الأوسط، لتصل إلى الأقصى فكثر أتباعه، وسجل تلامذته وأنصاره مناقبه تباعا.

المخطوط:

إن المخطوط الذي أنا بصدد الحديث عنه هو: (بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار[1] ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب الدار). وهو يقع في 174 لوحة، معدل الأسطر في كل وجه أو ظهر 33. ويوجد ببعض أوراقه بياض، والنسخة التي بين أيدي الباحث عارية عن اسم الناسخ، وتاريخ النسخ. وقام العديد من المهتمين بمناقب الملياني باختصاره. ومؤلف هذا المخطوط الصباغ لا يكاد يفصل بين التاريخ، والوقائع، عن الحكايات، والأساطير وهي كثيرة. وترجع أهمية هذا المخطوط إلى أن جل المناقب، رواها الشيخ موسى بن عيسى المازوني، الذي يعد من الوجوه العلمية البارزة بالغرب الإسلامي في زمانه.

القرن التاسع الهجري ومؤلفات المناقب:

يعد هذا القرن بالمغرب الأوسط قرن الكتب المناقبيةكما أشرت سابقا، فقد سجل ابن صعد التلمساني مناقب الأربعة المتأخرين في كتابه روضة النسرين، وهم: الشيخ محمد الهواري، وإبراهيم التازي، والحسن أبركان،

*- قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران

وابن الحسن الغماري. وألف كذلك كتابا آخر في الموضوع ذاته، هو النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب. كما وضع الملالي تلميذ السنوسي، تأليفا في مناقب شيخه سماه: المواهب القدسية في المناقب السنوسية.

ترجمة المليانى:

والمليانى – الذي اهتم الصباغ بتسجيل مناقبه – هو أحمد بن يوسف الراشدي، أحد مشايخ المغرب في القرن التاسع وبداية العاشر الهجري، لا يعرف تاريخ ميلاده. انتهت إليه رياسة طريق القوم في عهده بالبلاد الراشدية، والمغرب بأسره، وجميع النواحي.[2] وقد فتح عليه في علوم أسماء الله تعالى وتصريفها.[3] وهو من خريجي مدرسة تلمسان، التي كثر تلامذتها في هذا العصر، ومن جملتهم: ابن زكري، والسنوسي، والتنسي، والونشريسي. وهو من تلاميذ الشيخ أحمد زروق البرنصي،[4] طلب العلم بالمغرب الأقصى، وفيها تلقى أوراد الطريقة الشاذلية، كما أخذ بعض أورادها عن طريق التقاء المشايخ في موسم الحج. وكان من الذين يقرؤون القرآن بالسبع.

وتزوج المليانى مرات عديدة، وكان لا يرفض الهدايا جريا على عادة أصحاب الطريقة الشاذلية، وشرطهم في ذلك أن تؤخذ أو تترك لله. وحسب المليانى فإن الورع والزهد لا يتعارض مع العيش الرغيد، فقد كان يلبس رقيق الثياب، ويجلس على الفرش الحسان.[5] وعندما قيل له بأن تلاميذ الشيخ أبي مدين شعيب كانوا يلازمون الجوع تقشفا وورعا، ذكر بأن تلاميذه يأكلون أطيب الطعام.[6] وفي مسألة الهدية نصحه الشيخ قاسم البسكري ببجاية بأن لا يرد ما يعطى له.[7] وأهتم بالترجمة له العديد[8] من المؤرخين، وكانت زاويته برأس الماء، وتوفي سنة 931 هـ 1524م،[9] ودفن بمليانة.

ومع مرور الوقت كثر أتباعه، وكان يمنحهم الأوراد في حياته ويشكلهم في مجموعات ودوائر للذكر، واستعملت خلال تلك الأذكار ألآت الموسيقى والغناء. وربما هي سبب إنكار البعض عليه، خاصة بعد حركة ابن عبد الله المنزولي،[10] التي نسب النبوءة إلى المليانى. وكانت من الأسباب المباشرة التي أدت إلى تعقب أنصاره من قبل السلطان السعدي عبد الله بن محمد القائم.

وتعرف طريقة المليانى باليوسفية، وسمي أتباعه بالفقراء، وكان ينسب إليه أنصاره قوله: «جميع من أكل معي، أو شرب، أو جالسني، أو نظر فيّ، لا أسلم فيه غدا يوم القيامة».[11] وقد حكي عنه أن بعض أصحابه قالوا له: إن الشيخ عبد الرحمان الثعالبي قال من رأى من رآني لا تأكله النار إلى ثلاثة. فقال المليانى: «من رأى من رآني لا تأكله النار إلى عشرة».[12] وهكذا يبدو من نص الصباغ، أن شيخه تفوق في المرتبة على من سبقه من الأولياء والعارفين. وعندما يصل الشيخ في العادة إلى منزلة رفيعة من السمو، والعلو، يؤسس إطارا خاصا به. وهذا ما فعله الشيخ المليانى، عندما وضع لأتباعه قواعد طريقته اليوسفية. ولم يكن لها الكثير من الأتباع،[13] وجلهم يتمركز في الجهات الغربية من المغرب الأوسط. وهو في تأسيسه لهذه الطريقة يقتدي بأبي الحسن الشاذلي، الذي

سُئل عن شيخه فأجاب: كنت أنتسب للشيخ عبد السلام بن مشيش، وأنا اليوم لا أنتسب لأحد، بل أعوم في عشرة أبحر خمسة من الآدميين وخمسة من الروحانيين.

المؤلف:

مؤلف هذا المخطوط[14] هو أحد تلاميذ الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، وهو قاضي القلعة (قلعة هوارة) بالقرب من تلمسان، محمد بن محمد بن أحمد التلمساني المشهور بالصباغ، من أهل تلمسان أخذ العلم بها، ثم تولى خطة القضاء، ولد حوالي عام 923هـ / 1517 م.[15] وحياته مجهولة غير إشارات بسيطة، فقد كان رضيعا لما انهزم الأتراك أمام السلطان أبي حمو المتحالف مع الأسبان سنة 924 هـ / 1518 م. وللصباغ كتب أخرى غير البستان، فقد وضع شرحا لأسماء الله الحسنى، وله أيضا شفاء الغليل والفوائد في شرح قصيدة الشيخ إبراهيم التازي المعروفة بالمرادية، وله شرح في الأذكار.

موضوع المخطوط:

يتحدث هذا المخطوط عن المناقب والكرامات، والولي لا يدعيها ولا يُقطع بكرامته، لجواز أن يكون ذلك مكرا.[16] ويجب على الباحث أن يقوم بدراسة نقدية، يغربل من خلالها المناقب ويجعلها واقعة مثمرة. والكرامة هي لغة خاصة، مشابهة تماما للحلم، وهي قصة دينية، وتجربة روحية فيها الكثير من الحكم، والأمثلة السائرة، وبذلك فهي مادة روحية تشكل وحدة عضوية. والكرامات ستصبغ تصوف الملياني وتعطيه ميزة خاصة فيما بعد، وسأتناول تلك المسائل حين أحلل مناقبه.

تحليل مناقب الملياني:

يحتاج الباحث في بداية هذا الموضوع إلى طرح أسئلة مفتوحة، لتناول النصوص المناقبية، والتي تمثل سجال روحي مطرد، وإشكال ديني في فضاء خيالي واسع وغير منتهي. وإذا اعتبرت الكرامة أداة لنقد الوضع الاجتماعي، والسياسي، ومحاولة للإصلاح، فما هو مدلول كرامات الأولياء؟ فالقول بجواز ظهورها على أصحابها واجب، وهو ما عليه جمهور أهل المعرفة.[17] ولو تتبع أي مهتم وقائعها، فسيصل دون شك إلى أنها تحمل أكثر من رسالة، رسائل للنخبة الحاكمة، وأخرى للرعية، وبعضها للأتباع. وسنرى كيف أن مناقب الملياني تعد خطابا لولاة الأمور، وللناس البسطاء على حد سواء.

كرامة للمياني في بداية الطريق:

هذه المنقبة رواها الصباغ عن محمد بن الهواري المصراتي، وهو رواها عن الملياني مشافهة، عندما كان الملياني عند شيخه أحمد زروق ببجاية، ودخل في خلوة حيث أصابه جوع شديد، وأقسم ألا يأكل إلا من طيب. فقدمت سفينة لبعض الروم،[18]وأطعموه بأيديهم بعدما رفض الأكل، ثم أخذوه إلى ظهر السفينة، لكنها رفضت

الحركة. فقال لهم قائدها هذا قسيس، وطلبوا منه الدعاء فدعا لهم، وقال لهم: اذهبوا سالمين غير غانمين.[19] ومثل هذه الكرامة وقعت لأبي الحسن الشاذلي، وقد حكاها الصباغ عن موسى بن عيسى المازوني.

الدلالة في هذه الكرامة في الزمان الذي وقعت فيه، فهي حدثت في بجاية ولا أحد ينكر مكانة بجاية في البعد المعرفي الصوفي، فهي بلاد الوغليسي. كما أنها حدثت والملياني لا يزال في مرحلة الطلب عند الشيخ زروق، ورمزية زروق هنا هامة جدا. فمعرفة الأزمنة في الدهر[20] الذي تحدث فيه الكرامة، غاية في المدى العرفاني للسالك. والعديد من العلماء دخلوا الخلوة ببجاية أو نزلوا بها في بداية الطريق،[21] ومن جملتهم الشيخ محمد بن مرزوق التلمساني،[22]دخلها رفقة الشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى البحري البجائي. والسفينة تذكرنا بسفينة سيدنا موسى عليه السلام لما كان مع الخضر. وأخذه إلى ظهر السفينة ورفضها الحركة، دلالة على عدم قبوله لطريقهم فهم نصارى وهو لا يشاطرهم توجهاتهم. ودعوته لهم بالسلامة رد لجميل الإطعام، وقوله غير غانمين، إشارة إلى أن هذه الأرض غير أرض الشرك والكفر. إضافة إلى أن هذه القطعة تبين هموم الصوفي في حواره مع الآخر النصراني، ضمن البيئة الجغرافية والزمانية الواحدة وحضور المحرّم، في عملية التنافس الخفي أحيانا، أو الصراع المعلن مرات أخرى.

في هذه الكرامة يبحث الملياني عن نفسه ووحدة ذاته الصوفية، فهو لم يصبح بعد شيخا. وإنما أخذ في طريق الصوفية والمباحثة عن الأسرار الإلهية.[23]وهو بذلك يعزز تلك الذات، وبالتالي يحافظ عليها وعلى وجودها واستمرارها. وقد جاءت هذه الكرامة في وقتها، لأنها حددت التاريخ الروحي للملياني السالك إلى الله، وحددت العلاقات بين ميوله داخل الذات (دخول الخلوة، أكل الطيب، رفض النصرانية وطريقها)، ثم علاقاته مع جماعته وتحديده للواجبات (زروق، بجاية، الدعاء). وإن لتحقيق أمنية الملياني في الإطعام قيمة إيجابية، فنجاحه في الأكل من الطيب ومن أيديهم، دليل نجاح في حياته الصوفية، وهو الميدان الذي اختاره، وقد نال فعلا ما رغب فيه. وتغلب على المعيقات المناهضة للقيم العليا.

دخول الملياني للخلوة:

وعند رجوعه إلى بجاية، طلب منه الشيخ قاسم البسكري التوجه إلى أهله في رأس الماء، وأن يدخل الخلوة. وفي خلوته أتاه رجل بحفنة من دراهم وناوله إياها من بين الحائط والباب، ثم اشترى فرسا وعباءة. وفي رأس الماء لم يعرفه أحد، وكان يصلي بالناس في السوق، فتسارع الناس إليه. ولما بلغ خبره للشيخ عمر النزاري قال: أنا أذهب أقتل هذا الرجل البدعي. فقدم يركب فرسا، ولما اقترب من الملياني وقفت فرسه ولم تتحرك، وكان إذا وجهها عكس ذلك تحركت، فقرر النزاري عدم التعرض له، وأقبل بعد ذلك بقليل على حلقة الملياني التلاميذ، والشيوخ.[24]

قبل تفسير هذه الكرامة يجب إعادة تشكيل عناصرها الأساسية: (بجاية، الشيخ البسكري، الخلوة برأس الماء، الدراهم، الفرس، البدعة، وبعدها الفتح بإقبال الشيوخ عليه). واضح من خلال جزئيات الكرامة، المعاناة داخل نفس صاحبها في اتجاهه نحو التكامل، وهي تعطينا صورة واضحة عن وضعه، ونفسيته، وهمومه ومشكلاته الوجودية والروحية.[25] كما أنها تخبر عن واقعه وحاضره، من حيث درجة إيمانه بالقيم ومدى تمثله التدريجي لبعضها (فهو يقبل نصيحة الشيخ البسكري).

وتسجل هذه الكرامة كذلك اتجاهاته، وأمانيه، وعوامل القوة والتغير (الدراهم، الفرس، العباءة). ثم تخلق توتر في نفسه، ويظهر مشكلته التي يعانيها إلى العيان (العزم على قتله، واتهامه بالبدعة). ويستعين بطاقاته الروحية، ويخفف من قلقه، ويحافظ على اتزانه النفسي، من خلال بلوغ درجة الإقناع لدى خصومه الذين أصبحوا تلاميذ! ويستعين بالقصص القرآني . كما فعل في كرامة سفينة الروم السابقة . من خلال المقابلة بين الفرس وفيل أبرهة. فالفيل أراد أن يثني العرب عن التوجه إلى الكعبة، كما أن فرس الشيخ المزاري أرادت أن تثني سكان رأس الماء من إتباع الشيخ المليانى.

وهذه المنقبة أرضت صاحبها إلى أبعد الحدود، خاصة وأنها جاءت في بداية تشكيل فكره الصوفي، وتأسيس جماعة وإطارا خاصا به. فهي بذلك أرضت مطالبه، وأشبعت بعض أمانيه، وهدأت توتراته. وقد حدثت للشيخ أبي مدين شعيب، كرامة[26] مماثلة لهذه في بداية طريقه للتصوف باشبيليا.

زواج المليانى:

ومن مناقبه التي حصلت له في فترة نضجه وعزمه على الزواج – وهو الذي تزوج عدة مرات كما أشرت إلى ذلك سابقا – وفي زواجه الأول كان شرط أهل الزوجة مائة،[27] وخادمين، وبغلتين، وهو صداقها، فقبل المليانى. فقيل له: هذا شيء كثير وأنت لا شيء عندك. فقال لهم: خزائن الله كثيرة، ورحمته واسعة. فأتته أربعون دينارا، وانهالت عليه الهدايا، والفتوح، من كل مكان.[28]

الزواج في المنقبة يشير إلى الانبعاث والتجديد، ودلالته الثانية هي الاستقرار والثبات والتكامل. وهناك ارتباط بين الحياة الجديدة للإنسان والزواج، وكل معطيات هذه العملية ترمز إلى الحركة والتغير، فالمرأة نبع الخصوبة. وشرط أهل الزوجة يشير إلى الهبوط إلى الأرض، الهبوط إلى شيء أسفل غير ذي قيمة، وهي تعبر عن العداوة والشر (لم يكن في طاقته ذلك الصداق)، غير أنه يفاجئ المليانى الحضور بتوكله على الله بلا حدود، وهو انتقال إلى طور جديد، ويلمح إلى الحياة المستمرة التي لا تفنى. والفتح الذي وقع له يظهر المعنى التجديدي، والتغييري الذي حصل له في تجربته الإنسانية.[29] وهذه المنقبة تخبرنا عن عملية الانعتاق عند الصوفي، وعن سيره نحو المطلق.

تلك هي سبيل الهجرة الكبرى أو الطريق إلى الله أو التفريد، وعن هذه الرحلة الطويلة والغاية في الذات الصوفية تحدثنا هذه الكرامة.

وتعتبر الدنانير هي الزاد الذي يأخذه معه الصوفي في رحلته الجديدة، وعلى ذلك فهو القوة النفسية والقدرات التي تعطيها لصاحبها. فالدينار هنا هو شهرة المليانى، وتقدير الأتباع لسيد الطريقة. والدراهم في العادة هي طاقات وقيم وتطهر، ويؤيد هذا الطرح أن الدراهم في تفسير الأحلام هي دين وقضاء حاجة وصلاة.[30] ذلك لأن الشهادتين مكتوبتان عليها. ومن رآها فإنه سيتم له أمر الدين والدنيا.[31] والدرهم رمز للخير، والعلم، والدين، وتواتر في الأشياء الجليلة. وتذكرنا هذه الكرامة بأخرى حدثت للسقطي، الذي أعطاه ابن أخته الجنيد أربعة دراهم، فقال له السقطي: كنت أحتاج إلى أربعة دراهم، فقلت اللهم ابعثها على يد من يفلح عندك.

كذلك تحمل هذه الكرامة دلالة في ذكر العدد أربعة، لأن هذا العدد يرمز إلى التكامل.[32] فالجنة لها أربعة أنهر، والسنة فيها أربعة فصول، والشهادة فيها أربع كلمات (لا إله إلا الله). والأوتاد أربعة رجال، منازلهم على منازل أربعة. فهذا الرقم هو دليل على الفلاح والتمام، وهو رمز للجنة ولمفتاحها.

التوبة والإنابة والعزلة:

ويواصل المليانى رحلته الصوفية وتجربته الروحية، وبينما هو جالس في إحدى الأيام برأس الماء من وطن بني راشد، إذ بشاب مقبلا عليه حسن الصوت يغني، فأعجبه صوته، فقال له الشيخ: ليت هذا الصوت الحنين يذكر الله. ثم طلب الشيخ من الشاب التوبة، وكان بقربهما شجرة مشماش وهم في فصل الشتاء، ليس بها ورق فضلا عن الثمار، فقال له الشاب: إن أطعمتني المشماش منها فأنا تائب. فهزها الشيخ فإذا بالمشماش يتساقط منها من أحسن ما تثمر! فتاب الشاب في الحال، وذهب فانعزل بمغارة يتعبد فيها. وبعد أيام، ذهب إليه الشيخ فقال له: كيف حالك مع الله؟ فقال له الشاب: أعطاني ما لم يعط لأحد.[33] ومثل هذه الكرامة وقعت لإبراهيم الخواص، على ما حكاه موسى بن عيسى المازوني.

إن أهم شيء في هذه الكرامة هو استعمال الشيء في موضعه (الشباب، التوبة، الصوت الحسن، ذكر الله). وحضور دليل التوجه إلى الله في الحال، فالشجرة المثمرة إن كانت كذلك فالاستجابة في ذلك الوقت مرجوة قوية، مع بطء قليل، وإذا كانت قد أدركت الثمر عند طلب الدعاء فهي عاجلة سريعة. فالموقف اختبار حقيقي للصوفي، الذي يجب أن يكون حاضر البديهة، والتركيز، الذي سيؤهله للثبات.

وتبدو شجرة المشماش رمزا للخصوبة الخالدة، فهي تثمر حتى في الوقت غير العادي للثمار. كما أن الشجرة هي مسكن الأرواح ، ومنبع الاخضرار الدائم والاستمرار، والروح المتجددة، والظل المنعش والحياة والماء. وهي تشير للكمال والتحقق (التوبة ممكنة مع العزم)، وبعلوها تلمّح إلى المعراج الروحي نحو القمة لبلوغ معرفة الله

وتوحيده، ومن نظر بالحقيقة تلاشت في عينيه الخليقة.[34] ويمكن أن نستنتج من الشجرة فكرة العودة[35]والدوام، وإتباع الحق، كما تذكرنا شجرة المشماش بشجرة التوبة في كرامة أبي مدين التي حدثت له مع اللصوص،[36] وبشجرة البيعة، قال تعالى: ﴿**لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا**﴾.[37] كما أنها تقرّب إلى أذهاننا فهم الكرامة التي وقعت للسيدة مريم عليها السلام، حينما خاطبها الله سبحانه بقوله: ﴿**وهُزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رُطبا جنيا**﴾.[38]وكانت في غير أوان الرطب.[39] والخطاب الكرامي هنا يريد أن يقول: بأن المريد الجديد في هذه المنقبة يرضى بمبايعة الشيخ، من خلال ظهور دليل الاقتداء والإتباع.

والعملية كما هو ظاهر تدور أحداثها بين أفكار تتخذ شكل الصور. فكأن ذلك الشاب الغريب، الذي يُهدى ويعرف الحقيقة، عملية تصوير للقطب الذي يدل على طريق الفلاح بعمل خرافي تتجاوز مخيلة المريد، ومن ثمة يتم إسقاطها على المعلم الذي تعتبر وسائله محدودة. وتنتهي الكرامة بانقلاب كلي للمراد إدماجه في طريق القوم، وهنا يطرح الباحث الإشكال التالي حول تحول المريد من الزاوية إلى الزاوية: ما هي الآلية المثلى لإقامة التوازن بين الصوفي المنعزل، وبين المجتمع؟ فكيف إذن تقع التغطية والتكامل، بأن يستدعي صاحب الخلوة الغير إلى حياته ووعيه الخاص، وإلى الحقل الذي ارتضاه؟ فعطاء الله سبحانه وتعالى الذي يحس به هذا المريد، يشعر به الآخر . دون شك . في مكان آخر، وفي مهمة أخرى غير العزلة.

غتبة الشيوخ:

وفي الفصل الذي خصصه لإثبات ولاية المليانى، يدرج الصباغ العديد من القصص الكرامية والمناقبية، والمناقب، التي يستدل بها على ولاية شيخه. ومنها أن موسى الزنداري – وهو من تلاميذ الشيخ محمد بن يوسف السنوسي – كان يغتاب الشيخ المليانى مع بعض الجهال، فلما قدم إلى مجلس شيخه، بادره الشيخ السنوسي وقال له: تتقول في سلسلة الذهب سيدي أحمد بن يوسف. اذهب إليه الساعة واطلب منه العفو والسماح، وأن يجعلك في حل من الغيبة التي اغتبته بها، وخذ عليه من الأسرار التي منحه الله.[40] فذهب وفعل ما أمره به الشيخ السنوسي.

الإشارة إلى الإمام السنوسي هنا تعطي هذه الكرامة مكانة كبيرة، والهدف جلي من إبراز اسم هذا الشيخ في صناعة وتشكيل الكرامة، وهو تقدير خاص له ولمكانه فهو أحد أسياد طائفة التصوف. ونلحظ نوعا من الإرهاب الذهني، الذي يمارس على المريد (تتقول في سلسلة الذهب؟!). وفيها إشارة إلى القدرات الأسطورية للصوفية في مجال المعرفة (علم بالغيبة دون إخبار). والتعنيف الذي أبداه السنوسي يحمل الكثير من الرموز، فهو من شيخ المشايخ إلى تلميذه. ويرتبط ذلك الزجر بمكان له دلالته وهو المسجد أو الجامع، وغالبا ما تكون

الأحداث بعد صلاة تهجد، أو مكابدة، وهو ما يزيد في الضغط على المتلقي. فالنفس دون شك مهيئة لقبول الإيحاءات جمعيها. وكرامة المليانى هذه تذكرنا بكرامة لأبي العباس السبتي، حدثت له مع عبد الرحمن بن يوسف الحسني الذي كان سيء الظن بالسبتي، فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبره بأن السبتي: «يمر على الصراط كالبرق».[41] وفي الصباح التقى عبد الرحمن الحسني بالسبتي، فطلب منه هذا الأخير أن يخبره على ما شاهد البارحة وما سمع!

تحدي ابن غازي لشيوخ المغرب:

وقد تميز الشيخ المليانى بالفطنة والذكاء الحاد، ويبدو ذلك جليا من مسألة الشيخ محمد ابن غازي التي تحدى بها علماء المغرب حتى انتهت إليه، وهي أبيات ابن غازي التي قال فيها:

وميت قبر طعمه عند رأسه إذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
يقوم فيمشي صامتا متكلما ويأوي إلى الرمس الذي منه قيما
فلا هو حي يستحق زيارة ولا هو ميت يستحق ترحما

فأجاب المليانى في بيت واحد وحلّ الرمز بقوله:

هو القلم القبر الكتابة طعمه مداد كلامه الكتابة فافهما
وقائل هذا أحمد بن محمد عفا الله عنه كلما كان أجرما[42]

إقرار الشيوخ بعلمه وولايته:

وكان المليانى في عهده من أبرز الشيوخ الذين يتشرف الطلاب والزوار من التبرك بهم، فهذا الشيخ والفقيه محمد بن عبد الجبار الفيجيجي،[43] جاءه من بلاده فيقيق فوجده بموضع يقال له الأجراف من وطن شلف، فطلب منه الدعاء. وتكلم معه في عدد من العلوم،[44]فارتاح الفجيجي للشيخ المليانى وسرّ بزيارته، ورجع لبلاده مبتهجا مطمئننا من كلام الشيخ، الذي يريح أفئدة الزوار وعقولهم.

ومن الذين اعترفوا بعطايا الله على المليانى وفتوحاته عليه، الشيخ محمد الزيتوني، الذي قدم من المغرب ذاهبا إلى الحج. ونزل في مكان بالقلعة، فجاءه المليانى وسلم عليه، ثم قال له الزيتوني: أنت ابن زروق،[45]وهو ابني، أنت تلميذ زروق وهو تلميذي. ثم طلب الزيتوني من المليانى الدعاء! فدعا له، ثم قال له الزيتوني: أعطني رجلك أقبلها. فامتنع المليانى حياء منه، فأقسم عليه. فأعطاه رجله اليمنى فقبلها، ثم قال له الزيتوني: هات اليسرى كي لا تغضب من اليمنى! فأعطاه اليسرى فقبلها. ثم قال له: يا أحمد بن يوسف، قد أعطاك الله من القاف إلى القاف. فقال له المليانى: بل أعطاني أكثر من هذا. ويعلق الصباغ على هذه الحادثة بقوله: «انظروا لتعظيم هذا السيد

العالم الصالح سيدي محمد الزيتوني، مع جلالة قدره في العلم، والدين، لسيدي أحمد بن يوسف مع أنه شيخ شيخه. يختص برحمته من يشاء، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء».[46]

الرمزية الكبيرة في الكرامة السالفة الذكر هو الحج، وهذا الأخير كونه سفرا فهو في المنقبة رحلة نفسية، ورحيل عن الذنوب. والرحيل في الحج، وجه وثوب لتجربة التكامل. فغرض الذهاب هو البيت الحرام، إلى الله، إلى التطهر.[47] وبذلك هو غوص في الثابت والخالد، وراء التحول والظواهر المتقلبة، وبحث عن العلم الذي لا يعبد الله إلا به.[48] كما أن الحج هو رمز استجابة الدعوة، فقد سمع أبو إبراهيم الرجراجي وهو بين الروضة والمنبر، هاتفا من فوق رأسه يقول: «يا أبا إبراهيم، ارجع إلى دارك، فقد قضيت حاجتك».[49] ويرد في بعض النصوص أن أحد أصحاب المليانى استأذنه في الحج، فسكت الشيخ ثم أعاد فسكت عنه إلى المرة الثالثة، فقال له: طف بي ثلاث مرات تكتب لك حجة.[50]

بالإضافة إلى الإشارة الظاهرة في السند الصوفي المتصل وأهميته (أنت ابن زروق، وهو ابني، أنت تلميذ زروق، وهو تلميذي)، وهي الصورة التي يحاول كل سالك الحصول عليها، بمعنى آخر المدينة الفاضلة للصوفية، أو مدينة الأولياء، يقطع المسافة من المغرب الأقصى، إلى الأوسط، للتأكيد على تلك العلاقة، والغرض هو الحج، ووسط هذه الرحلة ربط للصلات الروحية وتأكيدها، والإشارة إلى عناصرها.

فضل خدمة الأولياء والمشايخ:

وكان للشيخ المليانى خادم يقوم بشأنه يقال له علي بن أحمد الكثيري، ترك هذا الرجل أهله ولازم خدمة الشيخ. وذات يوم ذهب علي بن أحمد لزيارة أهله وأولاده، فلما رآه أبوه، قال له: أربني منقبة واحدة من خدمتك للشيخ فسكت الولد، فقال له أبوه: انطلق معي أريك منقبة. وكان الأب خادما للشيخ عبد الرحمان القلعي، فذهبا إلى موضع بأعلى بني كثير فيه ديس كثير، ثم دخلا تحت ديسة كبيرة شديدة الخضرة في غاية الحسن، فوجدا مغارة، فقال الأب لابنه: انظر، فنظر فإذا بالكعبة تلعب بأستارها الرياح، فعاينها وتحققها على الصفة التي يصفها الناس. فخرج الولد من حينه يجري حافيا لا يعرف شوكا ولا حجرا، إلى أن دخل على الشيخ المليانى، ورمى بنفسه عليه، فأخذه الشيخ برفق إلى أن سكن ما به، ثم سأله عن حاله؟ فقال له: أراني أبي الكعبة لخدمته لشيخه سيدي عبد الرحمان القلعي، وأنا خدمتك وتركت أهلي وأولادي، فلم أر شيئا. فقال له الشيخ: اذهب لأهلك فقد أعطاك الله الدنيا والآخرة.[51] فكان كما أخبر به الشيخ المليانى من كثرة أولاده، وماله.

وخدمة الشيوخ ترد فيها العديد من النصوص الصوفية التي تشيد بأصحابها، وبعضهم وصل إلى أعلى الدرجات والمراتب بفضلها، وفاق في ذلك من خدمهم من الأساتذة والأولياء. فهذا الشيخ الداستاني، يحكي أنه سمع مشايخه يقولون بأن البسطامي خدم ثلاثمائة وثلاثة عشر أستاذا، آخرهم جعفر الصادق رضي الله عنه، وكان

يقول: كانا جعفرين، أحدهما أجلّ من الآخر. والذي خدمه أبو يزيد كان جعفر بن محمد الصادق. فسقى له سنتين، وكان يسمى طيفور السّقا،[52]حتى قال له إني أرى فيك أثر جدي، أرى أن ترجع إلى بيت نفسك وتبني بيتا وتنادي في هذا الخلق نداءا، يقصد يدعو الخلق إلى الله تعالى. ورأى بشر الحافي الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له: يا بشر، أتدري لم رفعك الله من بين أقرانك؟ قلت: لا يا رسول الله. قال: بإتباعك سنتي، وخدمتك للصالحين، ونصيحتك لإخوانك، ومحبتك لأصحابي، وأهل بيتي، وهو الذي بلّغك منازل الأبرار.[53] وقد كان والد الصباغ المعروف بابن معزّة، من أتباع أحمد بن يوسف المليانى، وكان يدافع عن شيخه ويلازمه ويغسل ثيابه.

المليانى والسلطة الحاكمة:

ولقد تقلبت أحوال المليانى حسب أوضاع العصر، فقد تعرض للسجن، والاضطهاد. بعدما كثر أتباعه برأس الماء، ووهران، ونواحي البطحاء، وتلمسان. وهو أمر أقلق الدولة الزيانية، التي تخوفت من تجمعاته التي كان يعقدها بتلك الجهات، وخاصة في فترة السلطان الزياني أبو حمو الثالث[54] الذي سجنه بتلمسان. واختبره هذا السلطان بأن وضع له . في إحدى الأيام . على الطعام دجاجة ميتة، وأخرى مذكّاة. ولما أتوه بالطعام وعليه الدجاجتين، قال: هذه حلال، للمذكّاة. وهذه حرام، للميتة.

والدجاجة ترمز إلى ما يتقدم بسرعة، وهي تعطي إشارة إلى الإحساس السريع للمليانى وخياله، وفطنته، وبديهته، التي ترفض الخبيث. وكان سيدنا سليمان عليه السلام يتحدث مع الطير، ويقرأ أفكارهم، فهو يستلهم هذا المثال، ويحاول أن يتصف بالحكمة المتصفة بالفراسة، أي بقراءة تعابير الفكر والروح على الوجه.[55] لأنه ارتاح للمذكّاة، بينما رفضت نفسه الأخرى. والمليانى لم يفقد صوابه في السجن، بل أعاد بناء ذاته. وهو بهذه الكرامة، يعبر عن تحقيق أمنيته في إعادة بناء روحي لشخصيته.

هذه الكرامة توضح العلاقة السيئة للمليانى بالزيانيين، فهو صادق وهم كاذبون. وقد حاول هؤلاء حرقه لكن النار لم تلتهمه، وسيتحالف مع العثمانيين بعد زيارة عروج له،[56]وقد تعهد هذا الأخير بعدم التعرض لنسله. ومن الواضح أن فظاظة الزيانيين وتسلطهم، مع عوامل اجتماعية أخرى، أعاقت الحوار المنفتح والمتواصل الذي كان يلح عليه زعماء التصوف.

والأولياء يروون مصير السلاطين والملوك، فقد سمع ابن مرزوق رجلا من العباد أرباب المكاشفات بمنزل العبّاد، وقد أطال التأمل في الجامع المجاور لضريح القطب أبي مدين شعيب، وهو يقول: «يا ما أعد الله لك يا أبا الحسن من النعيم المقيم»[57] وأبو الحسن المقصود هنا هو السلطان المريني.

ويبدو أن السلطان الزياني لم يتأكد ويتحقق من فراسة المليانى، فاختبره من جديد بأن بعث له الرجل الذي يقتص من الناس، ولما دخل عليه في السجن الذي يوجد به، لم يجد أحدا. قال الشيخ المليانى: وأنا أنظر إليه. ثم رجع إلى الأمير وقال له: لم أجد أحدا، فرده ثانيا، وثالثا، فلم يجد أحدا. ثم أتى السلطان بنفسه فلم ير شيئا، والشيخ ينظر، حيث أخذ الله أبصارهم عنه. وبعد ساعة قال السلطان للشيخ: اذهب فقد أطلقت سراحك. فقال الشيخ للرسول: قل له لا أخرج حتى تخرجوا جميعا، لأن الله سجنني ها هنا.[58] والصباغ هنا يقابل هذه الواقعة بحادثة الهجرة، وكيف أن رجال قريش عميت أبصارهم عن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من بيته.

هذه الكرامة جاءت بعد سوء ظن السلطان الزياني بالمليانى، وسوء الظن هو حجاب بين الناس والأولياء،[59] ولو حسن ظنه به – لما رآه من عجائبه – لسلم دينه وثبت يقينه. فالصوفي يرى ويبصر بنور الله، بينما غشاوة الظلم، والتعرض للأولياء، جعلت الحكام عمي لا يبصرون. خاصة بعد انحلال الرابطة بينهم وبين الرعية، واضطراب الأحوال وتعدد المشاكل. وهنا سيضطر السلطان أبي حمو من الاستنجاد بالأسبان (الكفار)، واحتمى بهم ضد العثمانيين، وأعانوه وحاصروا معه تلمسان سنة 924 هـ / 1518 م، وكان من حسن حظه أن تأخر المدد لعروج،[60] وغادر هذا الأخير المدينة، لكنه التحم مع الأسبان وسقط شهيدا أثناء تلك المعارك.

كان المليانى يتتبع الأحداث، ولم يرغب في الخروج من السجن، وفي زنزانته دعا عليهم بتخريب ملكهم،[61] وبعد أيام: «قدم الأمير المسعود متحركا على أخيه فهرب أبو حمو لوهران. ودخل المسعود[62] لتلمسان، وخرج الشيخ ولم يطلقه أحد، لتوكله على الله».[63] وكان دخوله إليها عام 925 هـ / 1519 م. وهكذا تبدو الكرامة وسيلة لإقناع الغير بضرورة الخضوع لشروط المتصوفة،[64] والانضواء تحت لوائهم. وتتضمن دعوة لمناهضة الظلم والطغيان،[65] والعقاب الذي ينشده الأولياء يزول بزوال البطش، وإذا لم يزول سيكون الهلاك مصير الظالم.

وأرباب العرفان هم الذين يزكون الحكام إذا استقاموا، فها هو الولي عبد العالي بن موسى الزيادي، يقول عن السلطان أبي الحسن المريني بأنه: «في منزلة علية في الجنة».[66] فالكرامات تحمل خطاب سياسي واضح المعالم، والأولياء يقدمون للحكام النصح خلال الغزو، فقد طلب الزيادي من ابن مرزوق، أن يكاتب أبو الحسن المريني في عدم جدوى طلب العرب في الخروج للقيروان. وبعد فترة بسيطة، جاء منادي وقال: «لا تبعثوا أحدا فقد قضي الأمر».[67]

بطبيعة الحال فإن احتكار السلطة في يد فئة معينة من البشر، وتهميش العناصر الفاعلة والنشيطة في المجتمع، جعل الشرخ يتسع بين ولاة الأمور والمحكومين، وهذا الوضع ساعد على ظهور المتصوفة كمنقذين ومخلصين، ولا يوجد غير الكرامة كمعطى غيبي للتأثير على نفوس وعقول الجماهير، والتواصل معهم.

الفتح ورؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة:

أعتقد أن هذه المسألة تعد من أبرز المسائل في فهم الخطاب الصوفي الكرامي، الذي يتغير حسب الزمان والمكان، والأولياء لا تحملهم الكرامات على هتك أستار محارم الله. وكان المليانى يدعي بأنه نائبا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقول أنه طلب من الله تعالى ثلاثة أشياء، فحققها له في ليلة واحدة، وهي: العلم بغير مشقة، وأن يبلغه فوق مبلغ الرجال، وأن يريه الرسول في اليقظة لا في المنام.

وأهم نقطة في هذه الكرامة هي رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة، والثابت في الشريعة أن رؤية الرسول . بعد وفاته . تكون في المنام، لحديث: (من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي).[68] لكن الكرامة وظفت الرؤية في اليقظة في فترة الأزمة، على اعتبار أن الكرامات إجمالا تنشط في زمن الضعف، وتكثر في وقت النكبات والمحن، التي يتعرض لها شيوخ التصوف والأولياء عموما. وفي اعتقادي أن زعماء هذا التوجه، احتاجوا إلى توظيف مسألة الرؤية للخروج من المآزق، التي واجهتهم بالخصوص مع رجال السلطة.

وكذلك يمكن أن نستنتج بأن البادية[69]. وتعد عادة مصدر إلهام فعلي . هي رمز من رموز الحقيقة، ومرحلة أساسية تمكن الصوفي من التأكيد على ذاته، بعيدا عن العلاقات البشرية وهموم الناس، ولذلك كان حضور نصوص الرؤية بها. فرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للمليانى، كانت برأس الماء (البادية)، في الفترة الزيانية ولم تكن في تلمسان (المدينة). لكن عندما يتمتع بالقرب من السلطة العثمانية ونفوذها، تتراجع أهمية تلك النصوص في أبجدياته ومدوناته الصوفية.

الأمر نفسه يتكرر بالنسبة للتيجاني، الذي عانى من مضايقات بايات الغرب بتلمسان، وطورد إلى الجنوب الوهراني فأحتاج إلى نصوص الرؤية، لتوظيفها لجمع الأنصار بقصر الشلالة، وبوسمغون (البادية). فلماذا لم يرى الرسول بتلمسان وشاهده في بوسمغون؟! ويؤكد ذلك غياب تلك النصوص تماما عندما يهاجر إلى فاس (المدينة)، أين وجد رحابة الصدر عند سلطانها سليمان وحيث (أصبح يمثل السلطة). كما حدث تماما لعمر الفوتي التيجاني ببلاد التكرور، الذي لا نكاد نعثر له على نص كرامي فيما يخص الرؤية قبل صراعه مع الإمارات الوثنية، وفي غمرة صراعه معهم تحضر الحاجة الملحة إلى تلك الرؤية، لتوظيفها في خدمة أغراضه. وهذا ما يمكن أن نقرأه في كتابه رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم.

خاتمة:

إن مناقب المليانى تقف قرينة على الوضع الذي ساد المغرب الأوسط في نهاية العهد الزياني، وبداية الفترة العثمانية، وصاحبها يعد أحد أبرز وجوه التصوف في تلك الحقبة. وهو الذي انحاز إلى السلطة العثمانية على حساب الزيانية، التي كانت تسعى للحفاظ على مصالحها ونفوذها، ولو أدى ذلك إلى التحالف مع النصارى

(المشركين). وأعتقد أن مخطوط بستان الأزهار، يحتاج إلى العديد من الدراسات التي يمكن . إن حدثت . أن تميط اللثام عن جوانب غائبة، أو مهملة، أو منسية من التاريخ الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والفكري، لمغرب القرن التاسع وبداية العاشر الهجريين. وهذه المناقب كانت في أحيان كثيرة سوط مسلط على أنظمة القوة، وأشكال السلطة.

ويجب على الباحث الجاد الذي يتعامل مع هذا النوع من المصادر أن لا يرفض الكرامات والمناقب، أو يتجاهلوها بحجة أنها غير منطقية، أو معادية للعلم وقوانينه. كما لا يجب في المقابل على المتنطعين أن يقدسوا النص الكرامي لذاته، ويعزلونه عن محيطه السياسي، والاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي. بل يجب عليهم جميعا دراستها دراسة نقدية، وتحليلية وفق المناهج الحديثة، وبالتالي على الباحث الأكاديمي أن لا يهتم فقط بما قد يبدو له جيدا في التراث. فحاجة الدراسات التاريخية لمثل هذه المقاربات ليست ماسة فحسب، بل هي ضرورية لإحداث الاستمرارية . التي بدأها علماء المنهج . في أرقى نماذجها.

الهوامش:

1. ذكر أبو القاسم سعد الله زمزم الأخيار بدل زمزم الأبرار. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط الأولى 1998، ج 1، ص: 495.
2. الصباغ، بستان الأزهار، و 9 و.
3. محمد بن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبعة الكرامة الرباط، ط الثالثة 2003، ص: 112.
4. للملياني تعليق على وظيفة شيخه أحمد زروق. ينظر: سعد الله، المرجع السابق، ج 4، ص: 78.
5. يقابل الصباغ بين المليانى والإمام مالك بن أنس، الذي بيع ما في بيته بعد وفاته فوجدوا ما قيمته خمسمائة دينار من مخاد محشوة بريش وغيرها. ينظر: بستان الأزهار، و 9 و.
6. *Bodin. M. Notes et quettions sursidi Ahmed ben Yousef, revue Africaine. Alger. n 66. Annee 1925. p, . 148.*
7. الصباغ، بستان الأزهار، و 5 ظ.
8. من جملتهم: علي بن موسى في كتابه ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة. وصاحب مخطوط مناقب أبي العباس أحمد بن يوسف، والذي توجد منه نسخ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: د 1457، د 1471.
9. هناك من يرى بأنه توفي سنة 927 هـ، ويبدو أن هذا التاريخ بعيد لقرائن عديدة. ينظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض بيروت، ط الثانية 1980، ص: 315.
10. هو أحمد بن عبد الله المنزولي، أخباره مفصلة في الباب الخامس من كتاب تبصرة الرئيس الأمين في ذكر إمام المسلمين لمؤلف مجهول. وهو من الذين صحب أصحاب المليانى، ثم تزندق وذهب مذهب الإباضية في تلك الفترة. ينظر: ابن عسكر، المصدر السابق، ص: 113.
11. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 497.
12. الصباغ، المصدر السابق، و 11 و.
13. سعد الله، المرجع السابق، ج 4، ص: 80.

14. يذكر عبد السلام بن سودة أنه لم يدر من هو مؤلف هذا المخطوط، وفي هذه النسخة التي اعتمدت عليها يذكر المؤلف اسمه في خطبة الكتاب. ينظر: ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص: 149.

15. سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص: 114.

16. أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1998، ص: 379.

17. المصدر نفسه، ص: 380.

18. مرة يذكرهم باسم الروم، ومرة يذكرهم باسم النصارى.

19. الصباغ، المصدر السابق، و 5 ظ.

20. علي زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم القطاع اللاواعي في الذات العربية، دار الأندلس بيروت، ط الثانية 1984، ص: 34.

21. من جملتهم: أبو مدين شعيب الغوث. ينظر: ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط الثانية 1997، ص: 319.

22. محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر الجزائر، ط 1981، ص: 467.

23. محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم الكويت، ط الثانية 1987، ص: 358.

24. الصباغ، المصدر السابق، و 5 ظ.

25. زيعور، المرجع السابق، ص:180.

26. ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال الرباط، ط 1965، ص: 12.

27. في الأصل هكذا دون تحديد ولعلها مائة درهم.

28. الصباغ، المصدر السابق، و 6 و.

29. زيعور، المرجع السابق، ص : 187.

30. ابن سيرين، تفسير الأحلام الكبير، مكتبة صبيح القاهرة، ط 1963، ص: 272.

31. المصدر نفسه، ص: 272.

32. زيعور، المرجع السابق، ص: 196.

33. الصباغ، المصدر السابق، و 6 ظ.

34. ابن الزيات، المصدر السابق، ص: 326.

35. زيعور، المرجع السابق، ص: 222.

36. ابن الزيات، المصدر السابق، ص: 321.

37. الآية 18 سورة الفتح.

38. الآية 25 من سورة مريم.

39. القشيري، المصدر السابق، ص: 383.

40. الصباغ، المصدر السابق، و 7 ظ.

41. ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص: 8 . 9.

42. الصباغ، المصدر السابق، و 9 و.

43. وردت في الأصل بالقاف بدل الجيم (الفقيقي).

44. الصباغ، المصدر السابق، و 8 ظ.

45. في الأصل الزروق.

46. بستان الأزهار، و 9 و.

47. زيعور، المرجع السابق، ص: 194.

48. ابن قنفذ، المصدر السابق، ص: 12.

49. ابن الزيات، المصدر السابق، ص: 350.

50. Bodin.op . cit. p . 141.

51. الصباغ، المصدر السابق، و 10 ظ.

52. كتاب النور من كلمات أبي طيفور وفيه مناقب البسطامي، تحقيق عبد الرحمن بدوي ضمن كتاب شطحات الصوفية، دار القلم بيروت، ط الثالثة 1978، ص: 63.

53. القشيري، المصدر السابق، 31.

54. أبو حمو موسى الثالث: الملقب بأبي قلمون بن محمد الرابع انتصب قهرا على عرش تلمسان سنة 909 هـ / 1503 م، فعزل ابن أخيه محمد السابع وباشر الحكم والبلاد يومئذ في اضطراب وحبل سلطتها في انحلال وضعف وتفرق. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط السابعة 1994، ج 2، ص: 202.

55. زيعور، المرجع السابق، ص: 189.

56. ومن الذين ناصروا العثمانيين من أصدقاء المليانى الشيخ محمد بن عبد الجبار المسعودي التلمساني، وقد زار المليانى أثناء محنته على يد بني زيان. ينظر: سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص: 465.

57. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص: 468.

58. الصباغ، المصدر السابق، و 9 ظ.

59. ابن قنفذ، المصدر السابق، ص: 6.

60. الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص: 224.

61. سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص: 464.

62. الأمير أبي سرحان المسعود الزياني: كان مبعدا إلى فاس من طرف أخيه فاستنجد بخير الدين العثماني، فأمده أمير البحر على أن ينضوي تحت سلطة العثمانيين مع دفع الضريبة، واقتحم مدينة تلمسان وطرد عنها أخيه. ينظر: الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص: 224.

63. الصباغ، المصدر السابق، و 10 و.

64. حدث هذا حين فرض الشيخ أبو عبد الله الكومي الضرير المراكشي على السلطان أبي الحسن المريني شروطا، قبلها هذا السلطان، والتزم بها تماما طول فترة اللقاء مع الشيخ المتصوف. ينظر: محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 356.

65. إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، مطبعة الخليج العربي تطوان، ط الثانية 2004، ص: 145.

66. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص: 468.

67. المصدر نفسه، ص: 467.

68. أخرجه الإمام أحمد، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

69. يمكن أن نقرأ العديد من الكرامات التي وقعت في البادية والفتوحات التي جرت لأصحابها، ينظر: القشيري، المصدر السابق، ص ص: 204، 205، 208.